شبهة الإكراه والتقية عند الاستضعاف ومسألة حُسْنِ المَقْصَد:

الجواب: أن التقية المذكورة في كتاب الله تعالى لا تتعلق بالتش-ريع أبدا، ولا بِنَشْ-رِ شيء من الشرك، والعمل به في رقاب العباد والبلاد، بذريعة الإبقاء على السلطان والملك، إذْ هذا ممنوع أصلا جملة وتفصيلا، وهذا واضح في كلام السلف في معنى قوله تعالى:{إلا أن تتقوا منهم تقاة}، وقد تقدم برهان ذلك في قصة هرقل والنجاشي.

ولنعلم أن الفتنة بالتشريع، أعظم من الفتنة بذهاب الحياة، والأموال؛ لأنه من الش-رك الأكبر، كما هو صريح القرآن، قال تعالى:{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}.

فمن ظن أن إقامة الشرع المطهر، هو من الفتنة، والإفساد في الأرض، فهؤلاء من جنس قوم فرعون، الذين قال الله تعالى في شأنهم:{وَقَالَ الْمَلأ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِ-ي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}، ولاشك في كفرهم ومروقهم عن الإسلام.

وإن من المعلوم قطعا، أن أعلى، وأجل، وأهم الض-رورات الخمس، التي اتفقت الشرائع على صِيانتها، هو حق الله تعالى، المتمثل في إقامة الدين، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ{159} مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ{160} قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{161} قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{162} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ{163} قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.

وإليك هذا النقل من كتابي (فتنة العصر التشريع):

** مسألة: في بيان معنى التقية في الدين، وبيان أن التقية لا تكون على عموم الناس، بل في خاصة النفس، وأنها لا تكون في تبديل الشرائع، وعرض الكفر على الناس، إبقاء على الملك، أو إرضاء للعباد، أو ادعاء أن ذلك خاضع للمصالح

والمفاسد، فالأمة مجمعة على أنه لا يجوز أن يقتل المسلمُ أخاه المسلم؛ ليبقي على نفسه بغير وجه حق، فكيف بِعَرْضِ الكفر على المسلمين وإيقاعهم فيه وتعريضهم له، إبقاء على النفس أو الملك، ونحو ذلك من حطام الدنيا؟!! فالإكراه لا يكون إلا على مستوى النفس عند الخوف عليها، مع اطمئنان قلبه بالإيمان ، أما أن يتعاطى الكفر حفاظا على رياسته وملكه؛ فهذا عين ما فعله هرقل، وتأمل آيات سورة (الكافرون) وما في معناها من كتاب الله تعالى:

** قال ابن جرير الطبري في تفسيره على قول الله تعالى{إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}:[وذكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم، فثبت على الإسلام بعضهم، وافتتن بعض. ذكر من قال ذلك:حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمى، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله:{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}... إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذّبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ( فحدّثه بالذي لقي من قريش، والذي قال:فأنزل الله تعالى ذكره عذره{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ}... إلى قوله{وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}قال:ذُكِر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا:اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأنزل لله تعالى ذكره{إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا}: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب، {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فعذّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبيّ (، فقال النبيّ (:"كَيْفَ تجدُ قَلْبَكَ؟" قال: مطمئنا بالإيمان. قال النبيّ (:"فإنْ عادُوا فَعُدْ". حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال:ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قوله:{إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} قال:نزلت في عمار بن ياسر. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، قال: لما عذّب الأعبد أعطوهم ما سألوا إلا خباب بن الأرت، كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيئا. فتأويل الكلام إذن:من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره على الكفر، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئنّ بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح عليه عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان، وباح به طائعا، فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر، عن ابن عباس. حدثني عليّ بن داود، قال:ثنا عبد الله بن صالح، قال:ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله{إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه

غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه، فلا حرج عليه، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم]ا.ه.

** وجاء في تفسير الطبري ايضا:[{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللّه في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم اللّه نفسه وإلى اللّه المصير} قال ابو جعفر : وهذا نهي من اللّه عز وجل المؤمنين ان يتخذوا الكفار اعوانا وانصارا وظهورا ولذلك كس-ر {يتخذ} لانه في موضع جزم بالنهي ولانه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة. ومعنى ذلك: لا تتخذوا ايها المؤمنون الكفار ظهرا وانصارا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك {فليس من اللّه في شيء} يعني بذلك : فقد برئ من اللّه وبرئ اللّه منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر {إلا ان تتقوا منهم تقاة} إلا ان تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على انفسكم فتظهروا لهم الولاية بالسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل، كما:حدثني المثنى قال حدثنا عبد اللّه بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين} قال:نهى اللّه سبحانه المؤمنين ان يلاطفوا الكفار او يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا ان يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك قوله:{إلا ان تتقوا منهم تقاة}.حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحق قال حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة او عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر بن زنبر وعبد اللّه بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم ! فابى اولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم فانزل اللّه عز وجل:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين} إلى قوله:{واللّه على كل شيء قدير}.حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا ابو بكر الحنفي قال حدثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين} يقول:لا يتخذ المؤمن كافرا وليا من دون المؤمنين.حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا اسباط عن السدي:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين} إلى {إلا ان تتقوا منهم تقاة} اما {اولياء} فيواليهم في دينهم ويظهرهم على عورة المؤمنين فمن فعل هذا فهو مشرك فقد برئ اللّه منه إلا ان يتقي تقاة فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين. حدثني المثنى قال حدثنا قبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان عن ابن جريج عمن حدثه عن ابن عباس:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} قال: التقاة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان. حدثني المثنى قال حدثنا إسحق قال حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا الحكم بن ابان عن عكرمة في قوله:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} قال:ما لم يهرق دم مسلم وما لم يستحل ماله. حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا ابو عاصم عن عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين} إلا مصانعة في الدنيا ومخالقة. حدثني المثنى قال حدثنا ابو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مثله. حدثني المثنى قال حدثنا إسحق قال حدثنا ابن ابي

جعفر عن ابيه عن الربيع في قوله:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين} إلى {إلا ان تتقوا منهم تقاة} قال:قال ابو العالية:التقية باللسان وليس بالعمل. حدثت عن الحسين قال سمعت ابا معاذ قال اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} قال:التقية باللسان من حمل على امر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان فلا إثم عليه إنما التقية باللسان. حدثني محمد بن سعد قال حدثني ابي قال حدثني عمي قال حدثني ابي عن ابيه عن ابن عباس في قوله:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} فالتقية باللسان من حمل على امر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان فإن ذلك لا يضره إنما التقية باللسان.

وقال اخرون : معنى:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} إلا ان يكون بينك وبينه قرابة. ذكر من قال ذلك:حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين إلا ان تتقوا منهم تقية} نهى الله المؤمنين ان يوادُوا الكفار او يتولوهم دون المؤمنين وقال الله:{إلا ان تتقوا منهم تقية} الرحم من المشركين من غير ان يتولوهم في دينهم إلا ان يصل رحما له في المشركين. حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة في قوله:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء} قال:لا يحل لمؤمن ان يتخذ كافرا وليا في دينه، وقوله:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} قال:ان يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك. حدثني محمد بن سنان قال حدثنا ابو بكر الحنفي قال حدثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله:{إلا ان تتقوا منهم تقاة} قال:صاحبهم في الدنيا معروفا الرحم وغيره فاما في الدين فلا]ا.هـ.

** وفي المستدرك :حدثنا ابو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني حدثني ابي ثنا همام ثنا محمد بن بشر العبدي قال : سمعت سفيان بن سعيد يذكر عن ابن جريح حدثني عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما {إلا ان تتقوا منهم تقاة}: قال:"التقاة التكلم باللسان و القلب مطمئن بالإيمان فلا نبسط يده فيقتل ولا إلى إثم فإنه لا عذر له". هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

** وفي شعب الإيمان للبيهقي:[السادس والستون من شعب الإيمان و هو باب في مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم قال الله عز و جل:{يا ايها النبي جاهد الكفار و المنافقين واغلظ عليهم} وقال:{يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة} وقال:{يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء} إلى قوله:{تسرون إليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل} وقال:{يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم وإخوانكم اولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون} وقال:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير} إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في كتاب الله في معنى ما ذكرنا قال:فدلت هذه الآيات وما في معناها على ان المسلم لا ينبغي له ان يُواد كافرا، وإن كان اباه او ابنه او اخاه، ولا يقاربه، ولا يجزيه في الخلطة، والصحبة مجرى مسلم منه، وإن بَعُدَ، وبسط الكلام في شرح ذلك، وقد ذكرنا

اكثر ذلك في كتاب السنن و غيره من كتبنا]ا.ه.

** وجاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية (14/470):[وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ وَاقِعَةٌ لِكَثِيرِ مِنْ النَّاسِ وَجَوَابُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى ثَلَاثِ مَقَامَاتٍ :"أَحَدُهَا" أَنَّ الْمُحَرَّمَاتِ قِسْمَانِ:" أَحَدُهُمَا" مَا يَقْطَعُ بِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يُبِحْ مِنْهُ شَيْئًا لَا لِضَرُورَةٍ وَلَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ : كَالشِّرْكِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ . وَالظُّلْمِ الْمَحْضِ وَهِيَ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاَللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } . فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُحَرَّمَةٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَبِتَحْرِيمِهَا بَعَثَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَلَمْ يُبِحْ مِنْهَا شَيْئًا قَطُّ وَلَا فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ].ا.ه.

** وجاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية (14/475-477):[وَقِصَّةُ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَى لَمْ تَكُنْ مُخَالِفَةً لِشَرْعِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَلَا فَعَلَ الْخَضِرُ مَا فَعَلَهُ لِكَوْنِهِ مُقَدَّرًا كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ بَلْ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ هُوَ مَأْمُورٌ بِهِ فِي الشَّرْعِ بِشَرْطِ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ مَا عَلِمَهُ الْخَضِرُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مُحَرَّمًا مُطْلَقًا؛ وَلَكِنْ خَرَقَ السَّفِينَةَ وَقَتَلَ الْغُلَامَ وَأَقَامَ الْجِدَارَ فَإِنَّ إتْلَافَ بَعْضِ الْمَالِ لِصَلَاحِ أَكْثَرِهِ هُوَ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ دَائِمًا. وَكَذَلِكَ قَتْلُ الْإِنْسَانِ الصَّائِلِ لِحِفْظِ دِينِ غَيْرِهِ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ وَصَبْرُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْجُوعِ مَعَ إحْسَانِهِ إلَى غَيْرِهِ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ. فَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ الْأُمُورِ مَا ظَاهِرُهُ فَسَادٌ فَيُحَرِّمُهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْحِكْمَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا فُعِلَ وَهُوَ مُبَاحٌ فِي الشَّرْعِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لِمَنْ عَلِمَ مَا فِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ الَّتِي تُوجِبُ حُسْنَهُ وَإِبَاحَتَهُ. وَهَذَا لَا يَجِيءُ فِي الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنَّ الشِّرْكَ وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالظُّلْمَ:لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ الْمَصْلَحَةِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ أُبِيحَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ؛ فَلَيْسَ مِنْ الْأَرْبَعَةِ. وَكَذَلِكَ إتْلَافُ الْمَالِ يُبَاحُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ وَكَذَلِكَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَجَاعَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ:{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، فَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالْعَدْلُ وَاجِبٌ مُطْلَقًا فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ شَرْعٍ ؛ فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَيَدْعُوهُ مُخْلِصًا لَهُ لَا يَسْقُطُ هَذَا عَنْهُ بِحَالِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَهُمْ أَهْلُ "لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ". فَهَذَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ أَنَّ النَّبِيَّ ( قَالَ لَهُ:"يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟" قُلْت:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:"حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" الْحَدِيثَ . فَلَا يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إلَّا مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ دِينَهُ وَعِبَادَتَهُ وَدَعَاهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ وَلَمْ يَعْبُدْهُ فَهُوَ مُعَطِّلٌ عَنْ عِبَادَتِهِ وَعِبَادَةِ غَيْرِهِ: كَفِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهِ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْمُشْرِكِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فَلَا يَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ الْبَتَّةَ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْعَامُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ دِينًا غَيْرَهُ..... فَيَجِبُ الْفَرْقُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ - وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا هُوَ اللَّازِمُ لِكُلِّ أَحَدٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهُوَ الْعَدْلُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَمَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ حَالٍ لَا يُبَاحُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْفَوَاحِشُ وَالظُّلْمُ وَالشِّرْكُ وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ - وَبَيْنَ مَا سِوَى ذَلِكَ]ا.ه.

** وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية (6/423-425):
[واما قوله تعالى:{إلا ان تتقوا منهم تقاة}، قال مجاهد إلا مصانعة، والتقاة ليست

بان اكذب واقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق ولكن افعل ما اقدر عليه كما في الصحيح عن النبي ( انه قال:"من راى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان". فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه ان يجاهدهم بيده مع عجزه ولكن إن امكنه بلسانه وإلا فبقلبه مع انه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه إما ان يظهر دينه وإما ان يكتمه وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله بل غايته ان يكون كمؤمن ال فرعون وامراة فرعون وهو لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء اخر فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن اكره بحيث ابيح له النطق بكلمة الكفر والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره.

والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن هذا الإكراه لا يكون عاما من جمهور بني ادم، بل المسلم يكون اسيرا او منفردا في بلاد الكفر، ولا احد يكرهه على كلمه الكفر، ولا يقولها ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه وقد يحتاج إلى ان يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل يكتم ما في قلبه !.

وفرق بين الكذب وبين الكتمان فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أكره والمنافق الكذاب لا يعذر بحال ولكن في المعاريض مندوحة عن الكذب]ا.هـ.

وعليه فلا إكراه في المكفرات، إلا على مستوى النفس، لاسيما التي تتعدى إلى الآخرين كـ(التش-ريع)، فكما أنه لا يقبل بالإجماع الاعتذار بالإكراه في قتل الآخرين من المسلمين إبقاء على نفسه هو، فإن الكفر والشرك أعظم من ذلك وأكبر، فلا إكراه في إكفار الآخرين بدعوى المحافظة على النفس، أو الملك والرياسة، فهذا هرقل ضَنّ بملكه، فلم يعذر بالإكراه محافظة على ملكه.

ففي شرع الله تعالى مَنْ مَلَكَ فعليه أن يحكم بشرع الله تعالى وحده لا شريك له، لا بحكم الطاغوت، فإن عجز فليتنح، كما في صحيح البخاري:(وَقَالَ الْحَسَنُ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْحُكَّامِ أَنْ لاَ يَتَّبِعُوا الْهَوَى، وَلاَ يَخْشَوُا النَّاسَ:{وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً}، ثُمَّ قَرَأَ:{يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}، وَقَرَأَ:{إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا - اسْتُودِعُوا - مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ} وفي صحيح البخاري:(وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ إِنَّ لِلإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا ، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا ، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ

بِحَرِيصٍ). انتهى.

وبناء عليه فلا يجوز مطلقا ولا يسوغ أبدا الاحتجاج بالتقية لإيقاع الأمة في الكفر، أو البقاء فيه مع الحكم به في رقاب العباد والبلاد بالكفر، فإنما التقية على مستوى النفس خاصة نجاة من هلكة تعرضت لها.

وإذا كان لا يجوز للأب مثلا أن يحمل أهل بيته على النصرانية أو غيرها مِن ملل الشرك لكونه معرضا للقتل أو نحو ذلك، فمن باب أولى الحاكم والراعي العام.

وهنا نقول للمُتَحَذْلِقِينَ والمُتَفَلْسِفِين الذين يَدّعُونَ قُدُرَاةٍ فائقة على إدْراكِ السِّيَاسَةِ التي يسمونها زُوْرًا بالشرعية، وأن عندهم فهما عميقا لعلم الأصول، إنكم لَسْتُمْ على شيء إنْ كان هذا ما أدّتكم إليه هذه القدرات المزعومة وهذه العلوم المذمومة، ولسنا منها في شيء، وإنما حالنا معها كحال السلف الصالح مع أصحاب العقليات والفلسفات وعلم الكلام الجاهلي والمنطق اليوناني الجدلي، حيث لم يلتفتوا إليهم، ولا يُعَرّجُوا عليهم إلا بالذّم والتّقْرِيع والتّوْبِيخ والقَضْحِ والتّحْذِيرِ، مُعْلِنِينَ استغناءهم عن كل هذه الترهات وكل يسمونه بالمنطق والعقليات وفقه الواقع المُر رضوخا له، ومُظْهِرين البَرَاءَة مِنْ كُلّ عِلمٍ ورَأْيٍ مُصادِمٍ لما كان عليه النبي ( والصحابة الكرام (، عملا بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: 1]، وقوله:{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63]. وحذرا من قوله تعالى:{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115].

<u>حسن المقصد لا محل له في هذه المقامات العَلِيّة العُلْوِيّة:</u>

ولنعلم كذلك أنه لا دخل لحسن المقصد هنا، ولا ينتفع به صاحبه، ولا يُعْذَرُ بكونه لديه خطة مستقبلية للتغيير مع استعلانه بالكفر ودعوته إليه وحمايته للشرك وأهله، فإن هذا كله ليس بِنَافِعِهِ شيئا، وقد رَكِبَ الكفر الأكبر رَضِيَ أَمْ أَبَى، ولا التفات لهذه المصالح التي هي دون مصلحة التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد، كقولهم حققنا نجاحا في فتح المساجد وأصبح كثير من الناس يَرْتَادُونها، وصار عدد ليس بالهين يُصَلِّي، وتحقق كذا وكذا، فإنّ كل هذا لا عبرة به في مقابلة التوحيد وتضييع حق الله تعالى فيه، ولوقُبل مثل هذا مع البقاء على

الاستعلان بالشرك والكفر لكان هذا مِن أيْسَرِ ما يكون على المشركين أنْ يُبادِرُوا به وأنْ يُعْطُوهُ، وقصة الرسل مع أقوامهم واضحة جلية في ذلك، بل كان بعض المشركين يفعل بعض هذه الأعمال، ولكن مع ذلك أهدرها الله تعالى، وبَيّنَ أنها لا تنفع إلا مع تحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين، وتأمل هذه الآيات، قال تعالى:{مَا كانَ لِلمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ أولئِكَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُمْ وَفِي النّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إنّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأقَامَ الصّلاةَ وَآتى الزّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إلّا اللهَ فَعَسَى أولئِكَ أنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ (18) أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ (19) الّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأمْوَالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ أعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأولئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [التوبة: 17 - 20]، وقال تعالى في قبول قوم شعيب شأن الصلاة ولكنهم اعترضوا على توحيد الله تعالى في الأموال وصرف العبادات إليه وحده لا شريك له، {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [هود: 87- 92].

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟، قَالَ:«لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

كما أنه لا اعتبار بالمقاصد الحسنة التي تجعل من التوحيد في درجة متأخرة، أو تجعله محلا للتدرج وأخذ الناس إليه رويدا رويدا، مع البقاء على العمل بالكفر والشرك والاستعلان به رَيْثَما يَتَسَنّى ذلك ويتمكن، فإن التوحيد ليس قابلا للتدرج، بل ما هو إلا إيمان أو كفر، وإنّ عمل الرسل في الكتاب والسنة واضح جَلِيٌ في هذا المقام، الذي لا أعظم منه في الانتصار لحق الله تعالى، وتأمل في هذه الآيات، قال الله تعالى:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: 39، 40]، ويقول:{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ

إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: 74، 75]، ويقول:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسّكُمُ النّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمّ لَا تُنْصَرُونَ } [هود: 113]، ويقول:{يَا أَيُهَا الّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الّذِي نَزّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) إِنّ الّذِينَ آمَنُوا ثُمّ كَفَرُوا ثُمّ آمَنُوا ثُمّ كَفَرُوا ثُمّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137) بَشّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الّذِينَ يَتّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزّةَ فَإِنّ الْعِزّةَ لِلّهِ جَمِيعًا (139) وَقَدْ نَزّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنّمَ جَمِيعًا} [النساء: 136 - 140] .

وعليه فلا يُلتَفَتُ إلى شبهة الإكراه ولا حسن المقصد البَتّة، بدعوى الاستضعاف والضغوطات والمكر العالمي، فإن الرُسَل قد وُوجِهُوا بمثل هذه الضغوطات وما ذَكرَه هؤلاء بل وأشد وأعظم.

ومع أنهم عليهم الصلاة والسلام كانوا هُم الأرْحَم بأممهم والأحرص على نجاتهم وهدايتهم وتخليصهم من الوَرَطات ومِن أعدائهم إلا أنهم لم يَفْهَم أحَدٌ منهم عليهم السلام أبدا أن هذا الاستضعاف هو من الإكراه الذي يَسُوغُ معه انْتِقاصُ التّوْحِيد، أو أن يكون محلا للمساومات وأنصاف الحلول، أو أن يكون قابِلًا للتّمْوِيه أو التّحايُل أو التّدَرُّج، فضلا عن التبديل والانتساب إليه والعمل به، تحت أي دعوى أو مقصد أو مصلحة مطلقا، بل ما هو إلا التوحيد أولا وقبل كل شيء، ولا شيء قبل التوحيد البَتّة، كما قال تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلّ أُمّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقّتْ عَلَيْهِ الضّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذّبِينَ} [النحل: 36].